Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الانسانية

العدد (103) المجلد (2) اذار 2025

الإتجاه الإصلاحي والسياسي في نونية أبي إسحاق الإلبيري 375- 460 هـ

أ.م.د. اسراء عبد الرضا عبد الصاحب الغرباوي
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / مركز البحوث النفسية

Abstract

The reformist trend in the poetry of Abu Ishaq Al-Alberi
375- 460 AH
During the reign of Granada Bani Ziri, a historical and literary study
There is a close relationship between poetry and history, as they are two important forms of human knowledge, and two essential elements in the formation of culture and heritage for every nation, and the deep connection between them can be seen through the spiritual connection that links them. Orientalist contact Franz Runthal in his book The Science of History among Muslims by saying, Poetry is a closed history.
Based on the foregoing, poetry has become a source of documenting historical events, preserving them and not forgetting them, because it arouses in the listener the pleasure of following up and coexisting with those events. Homer did not write his historical epic The Iliad and The Odyssey except in poetry, and ancient Iraq through his immortal epic Gilgamesh in poetry, and most of the epics that are made The history of peoples in poetic detail .
Through our research, we will shed light on a political epic led by the poet of political reform in Andalusia, Abu Ishaq al-Alberi, which was the spark that sparked the revolution against Yusuf bin Ismail al-Naghil and his followers because of his conspiracy against the prince and the people of Granada during the era of Ibn Badis, and it was behind the success of the people of Granada to change the regime Bani Ziri, who tasted the Andalusians, and it was true that Alberi's poetry was described as a tool for reform, as this prompted him to follow through it the path of preachers and reformers.
Through our research, we will shed light on a political epic led by the poet of political reform in Andalusia, Abu Ishaq al-Alberi, which was the spark that sparked the revolution against Yusuf bin Ismail al-Naghil and his followers because of his conspiracy against the prince and the people of Granada during the era of Ibn Badis, and it was behind the success of the people of Granada to change the regime Bani Ziri, who tasted the Andalusians, and it was true that Alberi's poetry was described as a tool for reform, as this prompted him to follow through it the path of preachers and reformers.
The research included: an introduction and a preface to introducing the biography of Abu Ishaq al-Alberi, and two topics:
The first of them: a historical study of the origin and transformation of Granada Bani Ziri.

Email:

Published: 1- 3-2025

Keywords: الإلبيري، الإصلاح، زيري، ابن النغريلة، القصيدة، غرناطة.

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

هناك علاقة وثيقة بين الشّعر و التاريخ ، فهما ضربان مُهمان من ضروب المعرف الإنسانية ، وعنصران أساسيان في تكوين الثقافة و التراث لكلِّ أمَّة من الأمم ، ويمكن ملاحظة الصلة العميقة بينهما بواسطة الاتصال الروحي الذي يربطهما ، فالشعر والتاريخ ينطلقان من بؤرة معرفية واحدة ، أكدها المستشرق فرانز روزنتال في كتابه :"علم التاريخ عند المسلمين" بقوله ، الشعر تاريخ مغلق

لهذا صار الشعر مصدراً من مصادر توثيق الاحداث التاريخية وحفظها من الضياع ، لأنه يثير في السامع لذة المتابعة و المعايشة لتلك الاحداث فهوميروس لم يكتب ملحمته التاريخية "الإلياذة" و "الأوديسة" إلاّ شعراً ، و العراق القديم عبر ملحمته الخالدة "كلكامش" شعراً ، ومعظم الملاحم التي تصنع تاريخ الشعوب بتفاصيلها شعرية ،

وخلال بحثنا هذا سنسلط الضوء على ملحمة سياسية قادها شاعر الإصلاح السياسي في الأندلس أبي إسحاق الإلبيري ،التي كانت بمثابة الشرارة التي فجَّرت الثورة على يوسف بن إسماعيل ابن النغريلة واتباعه بسبب تآمره على الأمير وأهل غرناطة في عهد ابن باديس، وكانت وراء نجاح أهل غرناطة لتغيير نظام حكم بني زيري الذي أذاق الأندلسيين الأَمرين ، وكان حقاً أن يوصف شعر الإلبيري أداة للإصلاح والسياسة إذ دفعه ذلك انْ يسلك خلاله مسلك الدعاة والمصلحين.

تضمن البحثُ: مقدمة وتمهيد للتعريف بسيرة أبي إسحاق الإلبيري ومبحثين:

أولهما :دراسة تاريخية للواقع السياسي لغرناطة في عهد بني زيري النشأة والتحَّول.

وثانيهما : دراسة أدبية لبيان تفاصيل القصيدة الإصلاحية للألبيري ومضامينها.

ونختم البحث بأهم النتائج التي توصلت الدراسة اليها.

المقدمة

هنالك علاقة وثيقة بين الشعر و التاريخ ، لكون كل من الأدب – و الشعر جزء منه – والتاريخ ضربان مهمان من ضروب المعرفة الإنسانية ، فهما عنصران أساسيان في تكوين الثقافة و التراث لكل أُمَّة من الأمم، ويمكن ملاحظة الصلة العميقة بينهما عن طريق الاتصال الروحي الذي يربطهما فالشعر و التاريخ ينطلقان من بؤرة معرفية واحدة، ويتصلان ببعضهما، وحقاً يوصف الشعر بانه تاريخ مخلق . (1)

لقد مثل الشعر واقع الأحداث الإنسانية وماضيها من مضامين فكرية ،وصراعات سياسية، وطبائع اجتماعية، وكشف عن كيفية التعامل بين الإنسان وبيئته ومجتمعه، وبالتالي عكس نتائج هذه

الاتجاهات وإفرازاتها السياسية و الاقتصادية والاجتماعية، فإن الشعر لم يقتصر في توثيقه للأحداث السياسة منها ،بل شملت مضامينه صوراً حية للواقع الاجتماعي، و الثقافي، و الفكري بعد ما انتاب الشعر من أطوار أحدثت تغييرًا في قواعده وأساليبه، كما نضجت صناعته في الماضي كذا سائر آداب اللغة. فصار الشعر مصدراً من مصادر توثيق الاحداث التاريخية وحفظها، وعدم اندثارها؛ لأن في ذلك ما يثير في السامع لذة المتابعة، و المعايشة لتلك الاحداث ، فالشعر تاريخ وصحيفة توثّق الأحداث ، ويخبرنا التاريخ بأن هوميروس لم يكتب ملحمته التاريخية الإلياذة والأوديسة إلاّ شعراً ، كذلك كانت ملحمة العراق الخالدة كلكامش شعراً ، ومعظم الملاحم التي تصنع تاريخ الشعوب بتفاصيلها شعرية . وقبل ظهور الإسلام وثّق الأعشى معركة ذي قار كما وثّقها الطبري في تاريخه، كلّ على طريقته الخاصة، وبهذا يكون الشعر وثيقة حيّة حملت معها الموقف الاجتماعي، وموقف العربي من الفرس الذين استهانوا بوجود العرب القومي والإنساني بحيث اصبح الشعر صورة للواقع، وما يعكسه من صراعات ومواقف تشكّل في مجموعها رؤية فاعلة للوعي الإنساني المؤثر في حركة التاريخ وما يعكسه من قدرات على خلق مقوّمات التوثّب والنهوض. وهذا ما يدلل أنَّ الشعر أكد حقائق التاريخ ونفى أن يكون مجرد نفحات وجدانية عابرة.

وكثيراً ما يعول الشعر على التاريخ في تفسير الحدث التاريخي، ووصفه، والتأثير فيه، فكان له أثر في إماطة اللثام عن تفاصيل كثير من الأحداث التاريخية بما ينسجم وقوة الحدس الشعري ونفاذ رؤية الشاعر نفسه، وهذا ما يكشف عن العلاقة بين الشعر والتاريخ.

وبحثنا هذا يسلط الضوء على ملحمة سياسية قادها (شاعر السياسة) [3] في الأندلس أبو إسحاق الإلبيري غايتها تغيير نظام حكم بني زيري في غرناطة .

أن الذي يتتبع الأحداث التاريخية في عهد الولاة ، يشعر أن الأندلسيين لم يقدر لهم الاستمتاع بحياة مستقرة ؛ فكان عهداً مضطربا لنشوب العصبية القبلية التي بدأ ت بين القيسية و اليمنية، وفي النصف الثاني من عهد الحكم الأموي اخذت عوامل الضعف، و الانقسام تدب في كيان المجتمع الأندلسي ، إذ ابتليت بخلفاء ضعفاء سرعان ما أضحت البلاد بفضلهم نهبا لفتنة قضت على عهدهم وفرقت وحدة الأندلس ، فانقسمت إلى دويلات يستأثر بكل واحدة منها حاكم أو أمير ، وهو ما عُرف بعهد ملوك الطوائف وانفق هؤلاء الملوك أموالاً طائلة لتثبيت أركان حكمهم ، وانساق معظمهم وراء مصالحهم الذاتية ، حتى وصل بهم الهوان أن يدفعوا صاغرين الجزية إلى الروم ، ودارت رحى الحرب بينهم واستعانوا بالروم في حل خلافاتهم ، بل أن بعضهم تحالف مع الروم ضد جيرانه من المسلمين ، وبعد ان دالت دولة الطوائف لحكم الأفارقة بيد المرابطين و الموحدين، وهي التي تعيين ولاتها في الاندلس الذين عاثوا فيها فسادا ، وفي عهديهما اخذت المدن الاندلسية تتهاوى في يد الاسبان مدينة اثر

مدينة ولم يبق سوى غرناطة وبعض الحصون التي ظلت تقاوم ردحاً من الزمن تحت ظل دولة بني الأحمر ، التي قامت على انتقاض دولة الموحدين ، والتي سقطت تحت ضربات الاسبان المتوالية في اخر الامر مؤذنة بأفول شمس الإسلام عن الاندلس (*)

وإزاء هذه الأحداث وتلك التقلبات وما القت به من ظلال ثقيلة على المجتمع عامة، ونفسية الفرد خاصة ، ارتفعت أصوات الأندلسيين معلنة رفضها ومطالبة بالإصلاح على مختلف عصور الاندلس ، فقادوا اصلاحا مختلفا الوانه لمواجهة هذه التحديات وللمحافظة على فردوسهم الذي فُقد واحداً من أبرز الوان الإصلاح والثورة التي قادوها واتخذوا من الشعر بوصفه أداة للإصلاح والثورة ، بواسطة قصيدة أبي إسحاق الإلبيري في غرناطة بني زيزي تلك القصيدة التي قال عنها غرسية غومث (ولا نعرف إلا في القليل النادر ان ابياتا من الشعر لعبت دورًا أساسيًا مباشرًا في التاريخ السياسي لأمة من الأمم ، فأثارت فيهم العزائم والهمم كالدور الذي لعبته قصيدة الإلبيري (4)

المحور الأول: غرناطة بني زيري النشأة والتحول:

جاء الصنهاجيون البرابرة إلى الأندلس بعد خلاف وفتن جرت بينهم في أفريقيا ، فكتبوا إلى المنصور بن أبي عامر يستأذنونه في الجواز إلى الأندلس فأذن لهم ، وعبروا بزعامة زاوي بن زيري وحين سقطت الدولة العامرية شاركوا في الفتنة التي تلتها عام 400 هـ ، ولعبوا دوراً كبيراً في تدمير قرطبة ورأى الخليفة المستعين ان يفرق البربر في الكور و الثغور تخفيفاً لضغطهم على العاصمة فاقطع قبيلة صنهاجة وزعماءها من بني زيري ولاية البيرة ، وقبل زيري وقومه هذه الولاية وطابت لهم الإقامة فيها وتعلقوا بها ولكن رأوها لا تصلح للدفاع عنهم ولا حصنا منيعاً لهم بسبب طبيعتها الجغرافية غير الملائمة لذلك * فابتنوا في البسيط الواقع على مقربة منها مدينة جديدة ينزلون بها وتكون معقلهم ، وهكذا قامت مدينة غرناطة على حين خربت البيرة وعفت رسومها ولفها النسيان ، ونمت غرناطة وأصبحت العاصمة وآخر مدينة تسقط بيد الاسبان في الأندلس (5)

وعين الصنهاجيون البرابرة حبوس بن زيري أميراً لغرناطة سنة 416 هـ واصعب ما واجه الأمير الجديد إيجاد وزير يتمتَّع بصفات خاصة منها الإصلاح و الوفاء و الأمانة ، فضلاً عن صفة أخرى لا تقل أهمية عن الصفات المذكورة آنفاً، تتمثل في المقدرة الأدبية على تحرير الرسائل الديوانية ، ولم يكن الأمير حبوس يثق في قومه البربر في هذا الاختيار ، لانهم يعرفون جيدا القتال و الاستيلاء على المدن ، لكنهم عاجزون عن الكتابة بلغة عربية فصيحة ، وهو يخاف كذلك العرب ولا يستطيع ان يتخذ منهم كاتباً ، خوفا من خداعة وبيعة للممالك الأخرى ، فوجد ضالته في كاتب يهودي اسمه إسماعيل بن النغريلة ، ويدعى صموئيل ولهذا الاختيار أسباب عِدّة : منها أنه ذمي غير اندلسي لا تشره نفسه إلى

ولاية ، وفي غرناطة جالية كبيرة من اليهود فهو اقدر من غيره على جباية الأموال وكان حسن المداراة للناس ، وتمتعه بمهارة كبيرة في الكتابة بأسلوب أدبي رفيع ، ولعل هذه الصفات وغيرها هي التي جعلت ابن حيان المؤرخ الكبير يقول فيه (وكان هذا اللعين في ذاته ، على ما زوى الله عنه من هدايته ، من اكمل الرجال علماً وحلماً وفهماً ، وذكاء ،ودماثه، ورزانة، ودهاءً، و مكراً، وملكاً، وبسطاً من خلقه ومعرفه بزمانه ، ومداراه لعدوه واستلالاً لحقتهم بحلمه ، ناهيك من رجل كتب بالقلمين واعتنى بالعلمين وشغف باللسان العربي ، ونظر فيه وقرأ كتبه وطالع اصوله فانطلقت يده ولسانه ، وصار يكتب عنه وعن صاحبه بالعربي) (6)

وبعد وفاه حبوس تولى ولده باديس الحكم سنه 429هـ وابقى إسماعيل بن النغريلة في منصبه ، لما عرف منه من حكمه ودراية ، فقويت شوكة ابن النغريلة في عهد باديس بن حبوس واستغل ثقة الأمير الكبيرة به ، فأراد ان يمكن لليهود في الدولة الجديدة بأساليب عدة ، أبرزها تعيين موسى بن عزرا على خطة الشرطة أو المسؤول عن الأمن بلغتنا المعاصرة ، وهي أهم المناصب واخطرها في الأندلس ، ومن ثم فان يهود غرناطة أرادوا أن يبرهنوا على امتنانهم وعرفناهم له فقلدوه رتبه الناجد ، أي رئيس اليهود أو اميرهم في غرناطة (7) .

استمر إسماعيل ابن النغريلة في وزارته إلى ان مات وخلفه في الوزارة ابنه يوسف ، وكان قد اعده ليكون وزيراً من بعده لباديس أو لمن يخلفه فحمله والده على مطالعة الكتب وجمع اليه المعلمين و الادباء يعلمونه ويدارسونه ، واعلقه بصناعة الكتابة وشغل في حياة والده مكانه في المدرسة العبرية التي انشأها لتدريس التلمود (8) ، ووصف ابن عذاري المراكشي يوسف بن إسماعيل ومنزلته لدى باديس بن حبوس بقوله : (لم يعرف ذلة اهل الذمة ولا قدر اليهودية ، وكان جميل الوجه حاد الذهن فاخذ نفسه بالاجتهاد في الأحوال واستعمال الأموال واستعمل اليهود اخوانه على الاعمال فزادت منزلته عند اميره باديس)، [9] وبمرور الأيام ازدادت مكانة يوسف تمكينا لدى الأمير لأسباب عدة منها : كبر سن باديس وتسليمه الأمور كلها ليوسف ، انشغال الأمير بالشرب حتى كان لا يكاد يصحو منه ، اختلاف النساء في القصر حول من يقدم للأمارة بعد باديس وتوصل يوسف اليهن بأسباب الخدمة ،عمله مع أناس قليلي التجارب جريه على سياسة التفرقة وتضريب بعضهم ببعض [10]

كان يوسف بن إسماعيل ابن النغريلة يفتقد – رغم ذكائه – الكثير من صفات أبيه ، فلا يعرف كيف يصطنع الناس حوله ، فقد اساء إلى مواطنيه جميعاً من العرب و البربرة ، وحتى إلى عقلاء اليهود انفسهم وأغرى بهم الأمير يصادر أموالهم أو يشتريها بثمن بخس ، ووضع اليهود في كل المراكز الاقتصادية الكبرى و الهامة ووجدها هؤلاء فرصة سانحة لكي يجمعوا الأموال ويبتنوا العقار دون ان

يراعوا في صنيعتها عدلاً ولا ذمة، ويوسف هذا مع تسلطه ومكره ودهائه، وقع في أخطاء قاتلة أدت إلى نهايته ونهاية النفوذ اليهودي في مدينة غرناطة ، ولعل من أهمها :

- تعصبه للدين اليهودي على حساب الإسلام ، وأن استهزاءه بالمسلمين ومحاولة إيجاد المبررات للطعن بالدين الإسلامي وزعمه أنه يستطيع ان جمع القران في أشعار وموشحات يغنى بها (11)
- دوره في اغتيال ابن باديس وولي عهده الملقب بسيف الدولة ، بعد فضحه لانحرافات الوزير يوسف (12)
- طمعه في إقامة دولة يهودية في الاندلس وتحالفه مع امير المرية لتنفيذ ذلك مقابل مساعدة امير المرية ابن صمادح في امتلاك غرناطة ، ولكن امره انكشف وانفضح (13) وكان هذا السبب أحد الأسباب المباشرة في القضاء عليه وعلى النفوذ اليهودي من غرناطة

وفي خضم كل ذلك ونتيجة لما ذكرناه من أسباب كان الوضع في غرناطة حرجاً جداً ، فالمدينة تغلي مضطربة و المجتمع من عرب و بربر يتململون ضيقاً من سيطرة اليهود على مرافق غرناطة ووجود يوسف على راس الحكومة فالناس ينسبون اليه اقسى النوايا رعباً ، وهو بحماقته يدفعهم إلى المزيد من الكراهية و التطرف وكان وقود الثورة السياسية الإصلاحية معداً وفي حاجة إلى من يشعل النار فحسب ، فأشعلها الإلبيري أبو إسحاق شاعر الإصلاح السياسي بقصيدة عظيمة ، دخلت ودخل معها التاريخ من أوسع الابواب ، وهما – الشاعر و القصيدة – سيكونان قطبي الحديث في المحور الاخر من البحث .

المحور الثاني : قصيدة أبي إسحاق الإلبيري الأقسام و النتائج:

يمكن القول أنَّ غرناطة تحت حكم بني زيري كانت أفريقية أكثر منها اندلسية ، تشبه أن تكون جزيرة بربرية تطوقها بحار من الإمارات العربية ، مدينة جافية لما تنضح بعد وامتد الجذب إلى الحياة الأدبية نفسها ، فعلى امتداد نصف قرن وفي بلد يرتوي بالشعر ويتغذى بالغناء بقيت غرناطة خارج مهابط الشعراء ، ولم يحدث ان أياً من كبار الشعراء فكر أنْ يرتحل إليها ليقول شعراً في امرائها البربر ووزرائها اليهود ، والشاعر الوحيد ذو الأهمية في غرناطة بني زيري هو ابو إسحاق الإلبيري ، الذي كان صدى لواقع المدينة ومناهضة نفوذ اليهود .

وأبو إسحاق الأبيري هو إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي واشتهر بالنسبة إلى مدينة البيرة، ولد سنة 375هـ في منطقة حصن العقاب ، فنشأ فيها وترعرع ثم انتقل إلى البيرة ، وتلقى علومه وثقافته فيها واستقر بها إلى أن اخليت المدينة وانتقل أهلها إلى مدينة غرناطة، وكانت نقله إلى غرناطة فرصة أخرى للقاء العلماء، ولاتخاذ مكانه بين الفقهاء وطلبة العلم ، وصار معروفاً لديهم بالشعر كمعرفتهم إياه

فقهياً متميزاً بينهم نفاه باديس بن حبوس من غرناطة بتحريض من وزيره يوسف بن إسماعيل بن النغريلة ، الذي ازعجه من ابي إسحاق الإلبيري كلمته المسموعة وتأثيره على العامة من الناس ، توفي سنة 460 هـ (14)

قصيدته النونية المشهور تقع في سبعة وأربعين بيتاً وقد وجدناها تضمنت أربعة اقسام داخلية تمسك بزمام موضوع القصيدة ، حاول خلالها الشاعر استنهاض همم الصنهاجيين واميرهم للقضاء على الوزير اليهودي يوسف ابن النغريلة وقومه الذين عاثوا في غرناطة فساداً

القسم الأول : يبدأ من مطلع القصيدة إلى البيت الثالث عشر منها بقوله : (15)

أَلا قل لصنهاجة أَجْمَعِينَ .. . بدور الندي وَأسد العرين
لقد زل سيدكم زلةً ... تقر بهَا أعينَ الشامتين
تخير كَاتبه كَافِراً ... وَلَو شَاءَ كَانَ من الْمُسلمين
فعز الْيَهُود بِهِ وانتخوا ... وتاهوا وَكَانُوا من الأرذلين
ونالوا مُنَاهُمْ وجازوا المدى ... فحان الْهَلَاك وَمَا يَشْعُرُونَ
فكم مُسلم فَاضل قَانِت ... لأرذل قرد من الْمُشْرِكين
وَمَا كَانَ ذَلِك من سَعْيهمْ ... وَلَكِن منا يقوم الْمعِين
فَهَلا اقْتدى فيهم بالألى ... من القادة الْخيرَة الْمُتَّقِينَ
وأنزلهم حَيْثُ يستأهلون ... وردهم أَسْفَل السافلين
وطافوا لدينا بإخراجهم ... عَلَيْهِم صغَار وذل وهون
وقموا الْمَزَابِل عَن خرقَة ... ملونة لدثار الدفين
وَلم يستخفوا بأعلامنا ... وَلم يستطيلوا على الصَّالِحين
وَلَا جالسوهم وهم هجنة ... وَلَا واكبوهم مَعَ الْأَقْرَبين

وجه الشاعر خطابه في هذا القسم إلى الصنهاجيين البربر قوم الأمير ، فأثنى عليهم ووصفهم ببدور الندي وأسد العرين ، وانتقل بعد ان استمال ودِهم بهذا الثناء إلى بيان خطأ أميرهم باديس بن حبوس باتخاذه يهوديًا متطرفًا على غير مِلة الإسلام لوزارته ، مما اسهم في علو شأن اليهود علي حساب المسلمين ، وبين لهم أن أميرهم بفعله هذا قد خالف الألى من القادة الذين احسنوا اختيار وزرائهم من المسلمين المتقين .

القسم الثاني : يبدأه من البيت الرابع عشر إلى البيت الخامس والعشرين بقوله : (16)

أباديس أَنْت امْرُؤ حاذق ... تصيب بظنك نفس الْيَقِين

فَكيف اختفت عَنْك أعيانهم .. وَفِي الأَرْض تضرب مِنْهَا الْقُرُون

وَكَيف تحب فراخ الزِّنَا ... وهم بغضوك إِلَى الْعَالمين

وَكَيف يتم لَك المرتقى ... إِذا كنت تَبني وهم يَهدمون

وَكَيف استنمت إِلَى فَاسق ... وقارنته وَهُوَ بيس القرين

وَقد أنزل الله فِي وحيهِ ... يحذر عَن صُحْبَة الْفَاسِقين

فَلَا تتَّخذ مِنْهُم خَادِمًا ... وذرهم إِلَى لعنة اللاعنين

فقد ضجت الأَرْض من فسقهم ... وكادتْ تميد بِنَا اجمعين

تَأمل بِعَيْنَيْك أقطارها ... تجدهم كلابا بهَا خَاسِئِينَ

وَكَيف انْفَرَدت بتقريبهم ... وهم فِي الْبِلَادِ من المُبعدين

على أَنَّك الْملك المرتضى ... سليل الْمُلُوك من الماجدين

وَأَن لَك البق بَين الورى ... كَمَا أَنْت من جلة السَّابِقين

ينتقل في هذا القسم من مخاطبة الصنهاجيين البربر إلى مخاطبة الأمير باديس مباشرة بحديث فيه عتب يصل إلى درجة التوبيخ ، فيستفهم من الأمير الحاذق – كما وصفه استهزاء – كيف اختفت عنك أفعال وزيرك اليهودي وقومه الشنيعة المسيئة لقومك من البربر ومواطنيك في غرناطة من العرب؟ ويمضي الشاعر باستفهاماته التوبيخية بالأداة (كيف) التي يراد منها تقرير حالة البؤس التي عليها الأمير جراء سوء اختياره وضعف تدبيره من تقريبه لهم وأمنه لجانبهم ، وصحبته لجماعتهم ، وينهي الشاعر قسمه هذا بتقريع الأمير عن كيفية فعل كل ذلك وهو الأمير والملك المرتضى سليل الملوك من الماجدين ؟ وكأني به يقول للأمير إنك لست من هؤلاء الملوك الماجدين بفعلتك وصنيعتك مع وزيرك وقومه اليهود وتمكينهم على أبناء جلدتك سواء من البربر ، أو من يستظلون بحكمك من العرب المسلمين .

القسم الثالث : يستهله بالبيت السادس العشرين وينهيه بالبيت الثامن والثلاثين : (17)

وَإِنِّي احتللت بغرناطة ... فَكنت أَرَاهُم بهَا عابثين

وَقد قسموها وأعمالها .. فَمنهمْ بِكُل مَكَان لعين .

وهم يقبضون جباياتها .. وهم يخضمون وهم يقضمون .

وهم يلبسُونَ رفيع الكسا ... وَأَنْتُم لأوضعها لابسون

وهم أمناكم على سركم ... وَكَيف يكون خؤون أَمِين

وَيَأْكُل غَيرهم درهما ... فيقصى ويدنون إِذْ يَأْكُلُون

وَقد ناهضوكم إِلَى ربكُم ... فَمَا تمْنَعُونَ وَلَا تنكرون

وَقد لابسوكم بأسحارهم ... فَمَا تَسْمَعُونَ وَلَا تبصرون

وهم يذبحون بأسواقها ... وَأَنْتُم لأطرافها آكلون

ورخم قردهم دَاره ... وأجرى إِلَيْهَا نمير الْعُيُون

فَصَارَت حوائجنا عِنْده ... وَنحن على بَابه قائمون

ويضحك منا وَمن ديننَا ... فَإِنَّا إِلَى رَبنَا رَاجِعُون

وَلَو قلت فِي مَاله إِنَّه ... كمالك كنت من الصَّادِقين

ينتقل الشاعر في هذا القسم بعد مخاطبة البربر و اميرها باديس بن حبوس إلى وصف مشاهداته بعد عودته من منفاه إلى غرناطة ، ويعطي صورة حية جلية إلى الأمير وقومه عما يفعله الوزير يوسف ابن النغريلة وقومه اليهود بغرناطة وسكانها من البربر و العرب المسلمين ، من خلال الثنائية القائمة في صدور الابيات واعجازهما ، ف (هم) تعني الوزير وقومه اليهود ،و (انتم) يقصد بها البربر و العرب ، ف(هم) قسموا غرناطة ونواحيها ، ويقبضون من جباياتها ويلبسون رفيع الملابس ويأكلون من الاطايب ويذبحون في الأسواق ما يريدون وبيدهم قضاء الحوائج وتقاليد الأمور أما (انتم) خاضعون لتقسيمهم ودافعون جبايتكم لهم ،لابسون ما يرمون لكم من الثياب ، تأكلون ما يفيض من طعامهم وبقايا موائدهم تتوسلون لهم لقضاء حوائجكم فأصبحتم عبيد لهم فالعزة ظاهرة بـ(هم) الدالة بارزة بـ(انتم) وما دام الحال كذلك فلا بد من الثورة عليهم لإصلاح الوضع وعودة الأمور إلى نصابها الصحيح ، فجاء القسم الرابع و الأخير ليميط اللثام عن ذلك صراحة .

القسم الرابع : يفتتحه بالبيت التاسع و الثلاثين ويختمه بالبيت الأخير السابع و الأربعين : (18)

فبادر إِلَى ذبحه قربَة ... وضح بِهِ فَهُوَ كَبْش سمين

وَلَا ترفع الضغط عَن رهطه ... فقد كنزوا كل علق ثمين

وَفرق عراهم وَخذ مَالهم ... فانت أَحَق بِمَا يجمعُونَ

وَلَا تحسبن قَتلهمْ غدرة ... بل الْغدر فِي تَركهم يعبثون

وَقد نكثوا عهدنا عِنْدهم ... فَكيف تلام على النَّاكِثِينَ

وَكَيف تكون لَهُم ذمَّة ... وَنحن خمول وهم ظاهرون

وَنحن الأذلة من بَينهم ... كأنا أسأنا وهم محسنون

فَلَا ترض فِينَا بأفعالهم ... فَأَنت رهين بِمَا يَفْعَلُونَ

وراقب إلهك فِي حزبه ... فحرب الْإِلَه هم الغالبون

هذا القسم يمثل مرتكز.القصيدة بإعلان الشاعر الإلبيري صراحة الثورة السياسية لمناصرة المضطهدين من البربر و العرب المسلمين ضد الطغاة من الوزير ابن النغريلة وقومه اليهود فالأبيات طافحة بأساليب الطلب من أفعال الامر (بادر ، فرق ، راقب) ، والنهي (لا ترفع لا تحسبن ، لا ترضى)،

والمراد من هذه الأساليب دفع الأمير وقومه إلى قتل الوزير وحاشيته لتخليص العامة من شرورهم ، وطرد قومه من المناصب المهمة في غرناطة وتفريق شملهم في اصقاع البلاد فقد ضاقت بهم غرناطة بما رحبت ، نتيجة سوء صنيعهم في البلاد والعباد من غدر وطغيان ، وينهي قصيدته ببيت شعر يجعل الوزير وقومه من اليهود قبالة حزب الشيطان و الأمير وقومه البربر ومناصريه من العرب في جانب حزب الله الغالبين مستلهماً قوله تعالى " ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون " المائدة /56 ، ليلزم الأمير وقومه ومناصريه بضرورة الإصلاح بوصفه امراً الهياً لا بد من تحقيقه لنصرة الله ورسوله والذين امنوا ، ليضفي على دعوته الإصلاحية صبغة شرعية

أن نظرة متأنية في أسلوب القصيدة الادبي تخبرنا بان الشاعر انتهج في سبيل ايصالها مرادها لغة بسيطة وعبارات مباشرة وهذا وان كان غير مقبول من الناحية الفنية ، لان القصيدة لابد وان تحفل بعبارات موحية وخيال خلاق ولغة فيها غموض فني ، الا ان العذر موجود للشاعر لأسباب عدة : منها ان القصيدة موجهة للبربر بصورة خاصة وهم قوم لا يفهمون العربية كثيراً وبحاجة إلى لغة بسيطة وعبارة صريحة تحقق المراد في إيصال الفكرة بأسهل الطرق اليهم ، ومن الأسباب كذلك ان الشاعر اتخذ من الكلمة الشعرية أداة للإصلاح السياسي ووسيلة لخدمة اهداف عامة ، ولإصلاح مجتمع مضطرب سياسياً وبحاجة إلى من يرود له سبل الخلاص من الظلم و الاضطهاد والتهميش ، فانشغل الشاعر بذلك عن غيره من مقومات القصيدة الفنية ولغتها الشعرية، ولعل أدبية هذه القصيدة تكمن في انتهاج الشاعر لهذا الأسلوب بألفاظه السهلة المأنوسة وعباراته التقريرية المباشرة . وهذا ما دفع المستشرق الاسباني اميليو غرسية غومث إلى القول أن: (الشعر الاندلسي لم يعرف ابداً البساطة عارية كما عرفها في هذه القصيدة ، وفي الوقت نفسه لم ير قصيدة مثلها يلفها مثل هذا الاعصار من المشاعر لقد اجتاحت انغامها أعماق المدينة مع زفير النيران وحشرجة الموتى) (19)

وعكف الناس على القصيدة ينسخونها وينشدونها ويتغنون بها ، ويتحينون الفرصة ليجعلوا من افكارها واقعاً ملموساً ، حتى جاءتهم الفرصة السانحة ، حين كشف احد العيون التي دسها أعداء يوسف ابن النغريلة عليه مؤامرة الوزير مع صاحب المرية ابن صمادح لقتل الأمير باديس بن حبوس وتسليم غرناطة لابن صمادح مقابل بقاء الوزير ابن النغريلة عليها وتمكينه منها ابدا مع قومه اليهود ، الناس على القصر يتغنون بقصيدة ابي إسحاق الإلبيري كي يظفروا بالوزير لقتله ، وتحقق مرادهم واعملوا السيف فيه وفي حاشيته ، ولم تقم لليهود بعدها في غرناطة قائمة

فكانت هذه القصيدة الثورية لشاعر السياسة أبي إسحاق الإلبيري السبب الرئيسي وتوجيه الأمور والحياة نحو اصلاحات الوضع السياسي في غرناطة ، وما تتبعه من إصلاحات اجتماعية واقتصادية اعادت للمدينة سيرتها الأولى في العدل و الانصاف للرعية .

الخاتمة :

تشكل النص الشعري وفق أفقٍ ينتمي إلى مستوى المتلقي، ذلك أن النص احتضن مجمل الرؤى والأفكار والتطلعات التي تُسهم في إعادة المشهد السياسي بتصور يغير الواقع، ويخلق حالة من الوعي في استشراف المستقبل، وبوتيرة تسمحُ بوجود عتباتٍ جديدةٍ تكون بدايةً لذلك الأفق الذي طالما وقف عنده الشاعر في قصيدته، ولهذه الأسباب وغيرها – مما ذكرناه في متن البحث – حرض أبو إسحاق الإلبيري الناس للثورة بقصيدته هذه فكانت موزعة على أربعة اقسام ضمنية ، خاطب الصنهاجيين البربر في قسمها الأول، وحاور الأمير باديس بن حبوس في قسمها الثاني ، وحفل القسم الثالث بتصوير مشاهدات الشاعر لما يجري في غرناطة من ظلم وبؤس ، وختمها بالقسم الرابع المحرض صراحة على الثورة ضد الوزير وحاشيته وداعياً إلى الإصلاح السياسي .

وقد عمد الشاعر إلى الثنائيات الضدية في مواضع متباينة، اراد منها بيان الصورة الاستشرافية التي مهد لها طويلاً ، بوصفها صورة الحل المنتظر، وقد رافقها جملة من الصور المنبعثة من تلك الثنائيات ، ففيها الجانب السلبي الذي دار في رواقم لا عودة منه، فهو الخط الفاصل في ترتيب الصورة السابقة، والتي يُنتظر منها أن تكون تابعة للماضي حيث تتجلى الصورة الجديدة المنغمسة بصلاح يُعيد الأمور إلى نصابها.

واتخذ الشاعر الألبيري الأندلسي من الأسلوب السهل والعبارة الواضحة في قصيدته سبيل الوصول إلى نفسية المتلقي وعقله كي يحقق المراد من الإحساس النفسي و الافهام العقلي للفرد الغرناطي بضرورة تغيير الواقع السياسي واصلاحه ، وقد أتت القصيدة أُكلها من التأثير في العامة ، و الثورة ضد الظلم وتغيير الواقع البائس ، فقام العامة بقتل الوزير وتشريد حاشيته من اليهود والعودة بغرناطة إلى سابق عهدها من حكم سياسي عادل ، ينصف الرعية ويحقق العدالة .

هوامش البحث:

1- علم التاريخ عند المسلمين ، فرانز روزنتال ، ترجمة : صالح احمد العلي ، مكتبة المثنى ومؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر ، بغداد – نيويورك ، 1963 ، 245/1 .

2- الشعر و التاريخ ، نوري حمودي القيسي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980 ، ص 30 .

3- هذه التسمية اطلقها عليه محقق ديوانه الدكتور محمد رضوان الراية ، ينظر ديوان ابي إسحاق الإلبيري ، تح محمد رضوان الراية، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق – سوريا ، 1991 مقدمة المحقق .

*** لمعرفة المزيد من هذه التفاصيل ينظر كتاب : الاندلس ، تاريخ وحضارة ، د . ماهر صبري كاظم ط 1 ، دار الكتب العراقية ، بغداد ، 2016 .**

4- مع شعراء الاندلس والمتنبي ، غرسيه غومث ، ترجمة : الطاهر احمد مكي ، ط 3 ، دار المعارف القاهرة 1982 ، ص 134 .

*ارضها منبسطة لا تحفها محميات طبيعية يمكن ان تكون حصنا يحميها من الغارات

5- مذكرات عبد الله اخر ملوك بني زيري ، المسمى بكتاب التبيان، نشره ليفي بروفنسال ، ط 1 دار المعارف سلسلة ذخائر العرب القاهرة ، 1955 ، ص 18 وما بعدها .

6- الإحاطة في اخبار غرناطة ، ابن الخطيب ، تح : محمد عبد الله عنان ، ط1 ، القاهرة ، 1955 ، 446/1 .

7- تاريخ مسلمي الاندلس ، دوزي ، ط 1 ، بوينس أيرس – الارجنتين ، 1946 ، م2 / ج 4 / ص 305

8- ينظر : الإحاطة ، 446/1 وما بعدها .

9- البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، ابن عذاري المراكشي ، تح : ليفي بروفنسال ، بيروت دار الثقافة ، د . ت ، 264/2 .

10-ينظر : الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى ، ابن حزم الاندلسي ، تح إحسان عباس القاهرة ، مكتبة دار العروبة ، 1960 ، مقدمة المحقق ، ص 12 .

11-ينظر: المغرب في حلى المغرب ، علي بن موسى بن سعيد المغربي ، تح : شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، 1978 ، 114/2 .

12-ينظر : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، لسان الدين بن الخطيب تح : ليفي بروفنسال ، بيروت ، دار المكشوف ، 1956 ، ص 230 .

13-ينظر : البيان المغرب ، 64/3 .

14-تنظر تفاصيل حياته في مقدمة محقق ديوان الدكتور محمود رضوان الراية .

15-ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي ، ص 108 – 109 .

16-م . ن ، ص 109 – 110 .

17-م ، ن ، ص 110 – 111 .

18-م ، ن ، ص 112 .

19-مع شعراء الأندلس و المتنبي ، ص 106 .

المصادر والمراجع:

القران الكريم

- الإحاطة في اخبار غرناطة ، لسان الدين الخطيب ، تح : محمد عبد الله عنان ، ط ﷺ ، القاهرة ﷺ
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، لسان الدين ابن الخطيب ، تح : ليفي بروفنسال ، بيروت ، دار المكشوف ، ﷺ .
- الأندلس تاريخ وحضارة ، د. ماهر صبري كاظم ، ط ﷺ ، دار الكتب العراقية ، بغداد ، ﷺ .
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ابن عذاري المراكشي ، تح : ليفي بروفنسال ، بيروت دار الثقافة ، د . ت .

- تاريخ مسلمي الأندلس ، دوزي ، ط ﷺ ، بوينس أيرس ، الارجنتين ، ﷺ .
- ديوان ابي إسحاق الإلبيري ، تح : محمد رضوان الداية ، ط ﷺ ، دار الفكرة ، دمشق ، سوريا ﷺ .
- الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى ، ابن حزم الاندلسي ، تح : إحسان عباس القاهرة ، مكتبة دار العروبة ، ﷺ .
- الشعر و التاريخ ، نوري حمودي القيسي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ﷺ .
- علم التاريخ عند المسلمين ، فرانز روزنثال ، ترجمة : صالح احمد العلي ، مكتبة المثنى ومؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر ، بغداد – نيويورك ، ﷺ .
- مذكرات عبد الله أخر ملوك بني زيري المسمى بكتاب التبيان ، نشره ليفي بروفنسال ، ط ﷺ دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب ، القاهرة ، ﷺ .
- مع شعراء الأندلس و المتنبي ، غرسيه غومث ، ترجمة : الطاهر أحمد مكي ، ط ﷺ ، دار المعارف ، القاهرة ﷺ .
- المغرب في حلى المغرب ، علي بن يوسف بن سعيد المغربي ، تح : شوقي ضيف ، دار المعارف مصر ، ﷺ .

alquran alkarim

- al'iihatat fi akhbar gharnatat , lisan aldiyn alkhatib , tah : muhamad eabd allah eanan , t 1 , alqahirat 1955
- 'aemal al'aelam fiman buaye qabl aliahtilam min muluk al'iislam , lisan aldiyn abn alkhatib , tih : lifi burufinsal , bayrut , dar almakshuf , 1956.
- al'andalus tarikh wahadarat , da. mahir sabri kazim , t 1 , dar alkutub aleiraqiat , baghdad , 2016.
- alibayan almaghrib fi 'akhbar al'andalus walmaghrib , aibn eadhari almarakishi , tih : lifi brufinsal , bayrut dar althaqafat , d . t.
- tarikh muslimi al'andalus , duzi , t 1 , buiinis 'ayris , alarjintin , 1946.
- diwan abi 'iishaq al'iilbiriu , tih : muhamad ridwan aldaayat , t 1 , dar alfikrat , dimashq , suria 1991.
- alradi ealaa abn alnighrilat alyahudii warasayil 'ukhraa , abn hazm alandilsi , tih : 'iihsan eabaas alqahirat , maktabat dar aleurubat , 1960.
- alshier w altaarikh , nuri hamuwdi alqaysiu , dar alhuriyat liltibaeat , baghdad , 1980.
- eilam altaarikh eind almuslimin , franz ruzinthal , tarjamat : salih aihmad aleali , maktabat almuthanaa wamuasasat franklin liltibaeat w alnashr , baghdad - niuyurk , 1963.
- mudhakirat eabd allah 'akhar muluk bani ziri almusamaa bikitab altibyan , nashrah lifi burufinsal , t 1 dar almaearif , silsilat dhakhayir alearab , alqahirat , 1955.
- mae shueara' al'andalus w almutanabiy , ghirsiih ghumath , tarjamat : altaahir 'ahmad makiy , t 3 , dar almaearif , alqahirat 1982.
- almaghrib fi hlaa almaghrib , ealiin bin yusif bn saeid almaghribii , tih : shawqi dayf , dar almaearif misr , 1978